أشهر الكبائر
القتل
ترك الصلاة
الزنا
الحسد
عقوق الوالدين
أكل مال اليتيم
شرب الخمر
السحر
السرقة
الربا
الشرك بالله
قذف المحصنات
شهادة الزور
الفرار يوم الزحف
منع الزكاة
ملخص المحاضرة الثالثة
علاء حامد
Alaa Hamed

الغيبة عدو الحسنات

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم،

أما بعد،

أهلًا ومرحبًا بكم في لقاء جديد مع هذه السلسلة الطيبة المباركة، نسأل الله أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال، ربنا هب لنا حكمًا والحقنا بالصالحين واجعل لنا لسان صدق في الآخرين واجعلنا من ورثة جنة النعيم ولا تخزنا يوم يبعثون لا ينفع مال ولا بنون وارزقنا قلوبًا سليمة نلقاك بها يا رب العالمين، اللهم آمين، اللهم آمين،

أما بعد فهذا لقاء جديد مع الكبائر أو مثل ما اصطلحنا أن نركز على أشهر الكبائر أو الكبائر المنتشرة جدًا بين الناس خاصةً التي يستهينوا بها أو لا يعلموا مدى الخسائر الهائلة التي تحدث بسبب تكرارهم للكبائر هذه بلا مبالاة، واليوم بإذن الله سبحانه وتعالى معنا كبيرة هي تعتبر ماحقة الحسنات، أي لا تبقي لك حسنة، وهي شديدة الانتشار الآن، لو أنت فعلتها كم مرة في اليوم أصبحت كأنك لم تعمل أي شيء من الخيرات أبدًا، لا صلاة ولا صيام ولا عبادة ولا أي شيء، لأن الحق فيها هيكون صعب جدًا والحساب فيها هيكون عسير والمقابل فيها هيكون كل عملك الصالح غالبًا، أي تكون تعمل أشياء كثيرة جدًا وهذه فقط تستهتر بها تأتي على كل ما فعلت من الخيرات وهي المعصية المعروفة باسم الغيبة.

أول نقطة نتكلم فيها اليوم بإذن الله وهي تعظيم الشريعة عمومًا لعِرض المسلم، مسألة عِرض المسلم تشعر أن هي في الإسلام فقط، ففي الغرب مثلًا لديهم الثقافة هذه شيء طبيعي، مثلًا لديهم شخص يظهر في برنامج ويظل يسخر من ممثلين، يسخر من وزراء، يسخر من عمال، يسخر من أصحاب مهن، فيفعلوه بشكل كوميدي أو يفعلوا أي برنامج يوجد به ضحك وسخرية ولا يوجد شيء يمنع ذلك ولا قانون يمنع هذا، فهذا بالنسبة لهم حرية، فالناس هناك حتى لو سبّت رئيس الجمهورية نفسه ما لديهم أي مشكلة، العرض نفسه ما لديهم أي مشكلة فيه،

ومع الأسف نحن ورثنا هذا منهم وهو أسوأ ما فيهم، فنبدأ بشكل طبيعي جدًا أن نتطرق لأعراض الناس بأسمائهم وبوظائفهم، والتريندات أغلبها الآن غيبة وسف وسخرية وكأن نحن أخذنا الثقافة كلها بالفكرة كلها بدون ما نُدرك أننا مختلفون تمامًا، حتى لو القانون لن يأتي بحق الشخص الذي تم السخرية منه لكن أين أنت من الله سبحانه وتعالى؟ الشريعة جعلت عِرض المسلم موضوع كبير جدًا جدًا.

السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها عندما قالت فقط للنبيﷺ:- يا رسول الله حسبك من صفية أنها هكذا، فقط تشير أنها قصيرة وكانت غيرة فقط ولم تقل شيء، قال النبيﷺ:- لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته، أي أن هذه الحركة لو تحولت لذنب وهذا الذنب أصبح لون، هذا اللون لو نزل في بحر البحر كله يتلون، تخيل لو شخص اليوم كله يتحدث في أعراض الناس!!، فالشريعة جاءت لحماية الأعراض.

والنبيﷺ قال في حجة الوداع:- [إنَّ دِماءَكُم، وأمْوالَكم وأعْراضَكُم حرامٌ عَلَيْكُم كَحُرْمة يومِكُم هَذَا، في شهرِكُمْ هَذَا، في بلَدِكُم هَذَا، ألا هَلْ بلَّغْت].

أي حرمة العرض في الإسلام مثل حرمة الكعبة في البلد الحرام في الشهر الحرام، فعندما يجتمع هؤلاء الثلاثة مع بعض فيصبح الأمر خطير جدًا.

قال النبيﷺ:- [كلُّ المسلِمِ على المسلِمِ حرامٌ ، دمُهُ ، ومالُهُ ، وعِرضُهُ].

فالعرض مثل المال، فبعض الناس تستعظم السرقة ولا تستعظم أن يسب شخص وما إلى ذلك.

عبد الله بن عمر رضي الله عنها نظر يومًا إلى الكعبة فقال:- ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمةً منكِ.

لو قلت لك اهدم الكعبة، فتقول مستحيل، وأنت مع ذلك تقع في عرض كل مسلم بكل سهولة في اليوم والليلة عشرات المرات وهذا أسوء عند الله من هدم الكعبة، فبعض الناس تظل تتحدث عن أشخاص آخرين بكل سهولة ولا تعلم أن هذا حسابه شديد عند الله سبحانه وتعالى، فلا تستهين بذلك، وقد تفعل ذلك مع صديقك ويسامحك ولكن قد تفعل ذلك مع أشخاص لا تعلمهم وهذا سنتحدث عنه في نهاية المحاضرة بإذن الله تعالى.

وفي الحديث:- [المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه].

وفي حديث أبي هريرة:- [قال رجلٌ : يا رسولَ اللهِ ! إنَّ فلانةً تذكر من كثرةِ صلاتها وصيامها وصدقتها ؛ غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها ؟ قال : هي في النارِ، قال : يا رسولَ اللهِ ! فإنَّ فلانةً تذكر قلةَ صيامِها وصدقتها وصلاتها، وإنها تصَّدقُ تدقُّ بالأثوارِ من الأقطِ، ولا تؤذي بلسانها جيرانها ؟ قال : هي في الجنةِ].

والمذكور بقلة صلاتها أي في النوافل.

وهذا الحديث خطير في بيان أن الغيبة تذهب الحسنات، فمحصلة المرأة الأولى تؤول إلى النار لأن أثر اللسان على الحسنات أكبر من حسناتها كلها فتكون خسرانة في النهاية، والثانية فعلت طاعات قليلة ولكن لا يوجد لديها شيء يأكل من حسناتها.

لذلك كان السلف حريصين جدًا على تعظيم الحُرمات وحرصهم على ألا يعطوا حسناتهم لأحد بل كانوا يشتدوا على من يفعل ذلك.

يُذكر عن إياس بن معاوية حيث كان لديه صديق يُدعي سفيان بن حسين، ففي مرة ذكر سفيان شخص ما أمام إياس بن معاوية، فقال له إياس:- يا سفيان أسألك بالله عل غزوت السند؟ قال:- لا، قال:- هل غزوت الروم؟ قال:- لا، قال:- هل غزوت الفرس؟ قال:- لا، قال:- هل غزوت الهند؟ قال:- لا، قال:- سَلِم منك السند والهند والفرس والروم ولم يسلم منك أخوك هذا، قال:- فلم يَعُد سفيان أبدًا إلى غيبة أحد خاصةً في مجلس إياس بن معاوية.

فالسلف كانوا حريصين جدًا على هذا الأمر ويشتدوا على من يفعل ذلك، لأن هذا مهلكة لحسنات المستمع إذا لم يُنكر ذلك.

●تعريف الغَيبة وأدلة تحريمها

قال الله تعالى:- ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اجتَنِبوا كَثيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعضَ الظَّنِّ إِثمٌ وَلا تَجَسَّسوا وَلا يَغتَب بَعضُكُم بَعضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُم أَن يَأكُلَ لَحمَ أَخيهِ مَيتًا فَكَرِهتُموهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوّابٌ رَحيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

فشبه الغيبة بأكل الميتة وكأنه صورها بصورة مستقذرة جدًا، ولا أحد يحتمل أن يأكل ذلك، مثل جيفة حمار مثلًا، فالنفوس تتقذر من ذلك، فشبه الغيبة بهذا الأمر لكي تنفر النفوس من الغيبة، فكما يمتنع الإنسان من أكل لحم أخيه ميتًا فينبغي أن يكون هذا نفس أدائه عندما تُعرض عليه غيبة.

فعندما تتعرض لموقف أن تقع في غيبة أخوك أو تسمع أحد يقع في الغيبة، تذكر طعم هذه الجيفة المنتنة المتعفنة في فمك، فيكون ردة فعلك سواء، فبالتالي لن تقع في الغيبة ولو رأيت حد يغتاب ستنكر عليه فعله.

فعندما نزلت هذه الآيات، سألوا الصحابة النبيﷺ عن معنى كلمة الغيبة وقالوا له:- ما الغيبة؟ وهذا يفهمك طريقة الصحابة في تدبر القرآن، فعندما تفهم شيء تعمل به والذي لم تفهمه تسأل عن تفسيره.

فقال لهم النبيﷺ:- ذكرك أخاك بما يكره.

فهذا هي القاعدة، عدم ذكر أخاك بأي شيء يكرهه، فما لا يكرهه مسموح أن تقوله، فكان من العلماء ما هو اسمه الأعمى والأعمش والأعرج وكانوا لا يكرهوا ذلك واشتهروا بهذا وهم راضيين، عكس ذلك لو يوجد شخص أعمش ولا يحب أن يُقال له ذلك، فهنا غير مسموح ذكره بذلك.

في الحديث:- [يا رسولَ اللهِ، ما الغِيبةُ ؟ قال : ذِكْرُك أخاك بما يَكْرَهُ . قيل : أفرأيْتَ إن كان في أخي ما أقولُ ؟ قال : إن كان فيه ما تقولُ فقد اغْتَبْتَه ، وإن لم يكنْ فيه ما تقولُ فقد بهَتَّه.]

اغتبته بشيء موجود به بالفعل، وبهته أي ظلمته بشيء غير موجود به.

مثال:- مثلًا تقول على شخص أنه غبي وهو على عكس ذلك، فهنا اجتمع مشكلتان، فقد ظلمته واغتبته، الاثنان معًا، والظلم أسوء وأشد عند الله من الغيبة.

ففي الحديث:- [من قال في مؤمنٍ ما ليس فيه أسكنه اللهُ رَدْغَةَ الخَبالِ حتَّى يخرُجَ ممَّا قال].

ردغة الخبال:- هذا مكان في النار للذي يقول في الناس شيء ليس بهم.

فقلما الآن تجد شخص يغتاب شخص آخر بما فيه، بل ينتشر الظلم والبهتان والحديث بأشياء غير موجودة في هذا الشخص.

يعلق الإمام النووي على هذا الحديث في كتابه الأذكار حيث يتحدث عن مجالات الغيبة – ناقلًا عن الإمام الغزالي رحمه الله –:

الغِيبة هي ذِكرُ المرء بما يكره، سواء كان ذلك في بدنه، أو دينه، أو دنياه، أو نفسه، أو خَلْقه، أو خُلُقه، أو ماله، أو ولده، أو زوجه، أو خادمه، أو ثوبه، أو حركته، أو طلاقته، أو عبوسته، أو غير ذلك مما يتعلق به، سواء كان ذلك باللفظ، أو بالإشارة، أو بالرمز.

وهذا يدل على شمول الشريعة في حماية الإنسان وصيانة عرضه في كل ما يتعلق به.

فمن ذلك مثلًا: ذكر الإنسان لولد غيره بما يكره؛ فإن كثيرًا من الناس لا يرضى أن يُذكر ابنه بعيبٍ خِلقي أو غيره، فذكر ذلك يُعدّ غِيبة، حتى وإن كان الكلام شائعًا بين الناس، وكذلك الحال في ذكر الزوجة أو الأهل أو أي أمرٍ يخص الإنسان مما يكرهه.

ومن صور الغِيبة أيضًا: التعرض لبلد الإنسان أو أصله، كأن يُنسب إلى بلدٍ معيّن على وجه الانتقاص، أو تُذمّ بلده أو قريته، فهذا في الحقيقة غِيبة له، بل قد يكون أشد، لأنه يجمع بين الطعن في الشخص والطعن في جماعةٍ كاملة، والواجب أن يعلم المسلم أن التفاضل الحقيقي إنما هو بالتقوى، كما قال الله تعالى:- ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

قال الإمام القرطبي رحمه الله:-

لا خلاف أن الغِيبة من الكبائر، وأن من اغتاب أحدًا فعليه التوبة إلى الله عز وجل.

وكذلك نقل الإمام ابن حجر الهيتمي رحمه الله الإجماع على أن الغِيبة من الكبائر.

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ في شأن صفية:- حسبك من صفية أنها هكذا (تعني قصيرة)، فقال النبي ﷺ:«لقد قلتِ كلمةً لو مُزجت بماء البحر لمزجته»، وهذا يدل على عِظَم خطر الكلمة، ولو كانت يسيرة في نظر قائلها.

وعن أبي برزة الأسلمي والبراء بن عازب رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ:- «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته»، وهذا يبيّن أن الجزاء من جنس العمل، وأن من اشتغل بفضح الناس، فضحه الله، ولا يتصور أن الله عز وجل يتتبع عورة شخص في صغيرة إنما هذا الأمر لا يكون إلا في أمر جلل عند الله سبحانه وتعالى.

وهذا الحديث واقع، حيث ما رأينا أحدًا يتتبع عورات الناس إلا وله يوم الناس تتبع عورته، وما رأينا أحد من طلاب العلم الذين يتتبعون عورات العلماء إلا وفُضحوا فضائح عظيمة ويظهر أن لديه مصائب وهكذا وكل الناس تتحدث عنه بعد ذلك.

والغيبة في حق العلماء أشد خطرًا؛ لما فيها من انتهاك عرض مسلم والوقوع في حقّ حامل علمٍ وقرآن غالبًا وكبير في السن في الغالب، وغالبًا يوجد ظلم واعتداء وعدم انصاف ويكون هدف المتكلم ليس التحذير وغالبًا يكون هدفه نوع من العداء بينه وبين هذا العالم، وإن كان هدفه التحذير كانت تكفي المقالة أو ممكن أن تذكر بشيء إذا كان يوجد أمر ضروري مثل ما كان يفعل المحدثين الذين كانوا يتحدثون في الجرح والتعديل حفاظًا على الدين مع التوقير.

حيث سُئل أحد الأئمة عن أبيه وكان محدِّث وأبيه أيضًا محدِّث، فأطرق وسكت ثم قال:- الشيخ ضعيف، فاضطر هنا أن يقول حفاظًا على الدين.

إنما الواقع الآن صعب للغاية في الحديث عن العلماء والطعن في الأئمة والطعن في من اجمعت الأمة على إمامتهم كالإمام النووي والإمام ابن تيمية وغيرهما من الأئمة، فهذه مسألة خطيرة جدًا أن يقع فيها أي طالب علم فضلًا عن عوام

الناس، حتى وإن اختلفنا في المناهج ما زال يوجد ناس لها فضل ولا يصح الانتقاص منهم أبدًا.

ففي الحديث:-[إنَّ من إجلالِ اللَّهِ إكرامَ ذي الشَّيبةِ المسلمِ وحاملِ القرآنِ غيرِ الغالي فيهِ والجافي عنْهُ وإكرامَ ذي السُّلطانِ المقسِطِ].

ولهذا قال ابن عساكر رحمه الله:-

«لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، فإن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب، ابتلاه الله تعالى قبل موته بموت القلب، قال الله تعالى: "فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم»، فينبغي الحذر الشديد من الوقوع فيهم، حتى مع وجود الخلاف، فإن لهم أقدارهم، ويُعتذر لهم، كما بيّن العلماء في مثل رسالة رفع الملام عن الأئمة الأعلام.

وفي الحديث:- «مر النبي ﷺ على قبرين فقال: إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، ثم قال: بلى، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستنزه من البول وفي لفظٍ: لا يستتر من البول فأخذ جريدة رطبة فشقها نصفين، ثم غرز على كل قبرٍ واحدة، وقال: لعله يخفف عنهما ما لم تيبسا].

معنى الحديث أنهما كانا يعذبان في النميمة والبول، وما يعذبان في كبير أي في نظرهما، بل هو كبير بالفعل.

وعن قتادة رضي الله عنه قال:- ذُكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة أثلاث، ثلث من الغيبة وثلث من البول وثلث من النميمة.

وهذه النسبة في أيام قتادة رضي الله عنه، فماذا تكون النسبة اليوم؟؟

عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في قصة المعراج:-

«مررتُ بقومٍ لهم أظفار من نحاس، يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال:- هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم».

أي يقومون بتقطيع وجوههم وصدورهم ثم تلتحم ثم يقومون بتقطيعها مرة أخرى وهكذا.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وأرضاه قال:- كنا عند النبيﷺ، فقام رجل فوقع فيه رجلٌ من بعده، فقال النبيﷺ:- تخلل(أي خلل أسنانك)، قال:- مما أتخلل ما أكلت لحمًا؟ قال:- إنك أكلت لحم أخيك.

سمع عليُّ بن الحسين رجلًا يغتاب آخر فقال:- إيَّاك والغيبة فإنها إدام كلاب الناس.

وعن سفيان الثوري قال:- إيَّاك والغيبة، إيَّاك والوقوع في الناس فيهلك دينك.

وعن سفيان قال:- لئن أرمي رجلًا بسهم أحبّ إليَّ من أن أرميه بلساني.

وقال الحسن:- والله للغيبة أسرع في دين المؤمن من الأكلة في جسده.

مثل الغرغينة التي تحدث في الجسد وتأكل منه فالغيبة أشد من ذلك.

●وسائل الغيبة

يقول الإمام النووي:- (الغيبة هي ذكرك للإنسان بما يكره سواء ذكرته بلفظك أو كتابتك أو أشارت إليه بعينك أو يدك أو رأسك، وعمومًا الغيبة كل ما أفهمت به غيرك نقصان مسلم هو غيبةٌ محرمة ومن ذلك المحاكاة أن يمشي متعارجًا أو متطأطىء..إلى غير ذلك، فكل هذا حرام بلا خلاف).

المحاكاة كأن يقلده في طريقة مشيه أو أكله أو نومه...وهكذا.

ويقول الإمام النووي:- (هناك غيبة للمتعبدين فيلبسون الغيبة لباس الكلام الصالح، فإذا ذُكر عندهم فلان، قالوا الله يهديه ويصلح حاله، فأفهم الشخص الآخر أن لديه عيب ولكن في صورة الدعاء له، قال فهذه غيبة).

فيقول أن كل هذه حيل لكي يوصل أن هذا الشخص فيه نقيصة أو به عيب.

الغيبة الآن يدخل فيها جميع الكوميكس كأن يضع صورة من فيلم أو مشهد من مقطع معين سواء لاعب كرة أو ممثل ثم يضع تعليق ساخر لكي يضحك الناس،

وأيضًا الناس التي تظهر وتقلد بعض الأشخاص في مسرح فني أو برامج لكي يضحكوا الحضور فهذه غيبة، وأيضًا برامج الحوارية عمتًا كأن يسأل المذيع الشخص الذي يستضيفه ماذا رأيك في فلان والشعب وهكذا؟ فهذه غيبة، وأيضًا المستمع يأخذ الذنب، وأيضًا البلوجر الذين يقومون بتقطيع بعض المقاطع ويعلقون عليها، فكل من علق وشارك وضحك ورضى بهذا فهو مشارك في الغيبة، بل الاستوديوهات التحليلية أيضًا التي تذكر اللاعبين وهكذا كل هذا غيبة وأيضًا المشاهدة لها والرضى عنها غيبة، فكل هذه صور مخيفة.

يقول ابن تيمية رحمة الله عليه:- (فمن الناس من يغتاب موافقة لجلسائه مع علمه أن المغتاب بريء مما يقولون أو فيه بعض ما يقولون لكن يرى لو أنه أنكر عليهم قطع المجلس واستثقله أهل المجلس ونفروا عنه فيرى موافقتهم من حسن المعاشرة وطيب المصاحبة وقد يغضبون فيغضب لغضبهم فيخوض معهم).

وأيضًا التفشي غيبة، كأن يتحدث شخص مؤيد لنادي معين عن نادي آخر بسوء، فما بالك بالزوجة والأهل والأولاد والشعوب.

فالغيبة الآن أصبحت منتشرة بطريقة مرعبة خصوصًا على وسائل التواصل الاجتماعي، فالتصفح ليس فقط تضييع للوقت بل تأخذ ذنوب أثناء تصفحك لها، كأن تشاهد شخص يتكلم عن شخص بسوء فيجب عليك وقتها مفارقة هذا التصفح.

●حال المستمع للغيبة

المستمع للغيبة شريك في الإثم إذا كان راضيًا لما يحدث إنما لو تحدثت فأصبحت مغتاب أصلي.

لذلك ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه وأرضاه قال كانت العرب يخدم بعضهم بعضًا في الأسفار وكان مع أبي بكر وعمر رجل يخدمهما فاستيقظ ولم يهيّء لهما طعامًا، فقال أحدهما لصاحبه:- إن هذا ليوائم نوم بيتكم (أي نائم كأنه في بيته)، ثم أيقظاه وقالا له اذهب إلى رسول الله فقل له إن أبا بكر وعمر يقرئانك السلام ويستأدمانك(أي يريدان طعام وهكذا)، فذهب الرجل وأُوحيَّ إلى النبيﷺ بالذي حدث، فقال:- أَقرِهما السَّلامَ، وأخْبِرْهما أنهما قد ائتدَما، ففزِعا، فجاءا إلى

النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالا:- يا رسولَ اللهِ بعثْنا إليك نستأدمُك، فقلتَ:- قدِ ائتدَما فبأيِّ شيءٍ ائتدَمْنا ؟ قال:- بلحمِ أخيكما، والذي نفسي بيدِه إني لأرى لحمَه بين أنيابِكما، يعني لحمَ الذي استغاباه، قالا : فاستغفِرْ لنا، قال:- هو فلْيستغفِرْ لكما.

وهنا الحديث جمع الإثم على الاثنين مع إن شخص واحد هو الذي تكلم بالكلمة، ولكن الشخص الآخر سكت عنها.

ما الحل للمستمع ليخرج من هذا الإثم؟

يجب عليه أن ينكر بأي شكل من الأشكال، منهم:-

- أن تنكر الأمر بشكل صريح، بإن تقول أن هذا غيبة وهذا لا يرضي الله عز وجل.

مثل ما فعل سيدنا معاذ عندما ذكر شخص ما سيدنا كعب بن مالك في غزوة تبوك، عندما سأل النبيﷺ عن كعب بن مالك فقال هذا الشخص:- شغله برديه والنظر في عطفيه، فقال له معاذ:- بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرًا.

فهنا أعلى درجات الإنكار وهو إنكار الفعل نفسه مع الحديث عن الشخص بخير.

- أن تتكلم كلمة عامة، بإن تقول لا نريد أن نذكر أي شخص بأي شيء، أو تقولها بشيء من الدعابة لو جالس مع أشخاص كبيرة مثل أنك تقول لا نريد أن يأخذ أحد حسناتنا وهكذا.

وهنا الهدف المرجو يكون الاستجابة وليس النجاة فحسب، فبعض الناس ينكر بشدة لكي ينجو هو فقط ولا يحدث أي استجابة للمدعو.

- أن تغير مسار الحوار، فهذا نوع من الإنكار.

كأن تتكلم مثلًا عن السيارات أو الذهب وهكذا تجعل حديثك عن الجمادات.

- عندما تعجز عن الإنكار لسبب ما، أقل شيء أن تفارق هذا المجلس وتنصرف.

قال الله تعالى:- ﴿وَقَد نَزَّلَ عَلَيكُم فِي الكِتابِ أَن إِذا سَمِعتُم آياتِ اللَّهِ يُكفَرُ بِها وَيُستَهزَأُ بِها فَلا تَقعُدوا مَعَهُم حَتّى يَخوضوا في حَديثٍ غَيرِهِ إِنَّكُم إِذًا مِثلُهُم إِنَّ اللَّهَ جامِعُ المُنافِقينَ وَالكافِرينَ في جَهَنَّمَ جَميعًا﴾ [النساء: ١٤٠].

في حالة أنك لا تستطيع أن تنكر ولا تستطيع أن تفارق المجلس لضرر ما سيعود عليك وهذا هو الأصعب، ففي هذه الحالة أنكر بقلبك واشغل نفسك بذكر يلهيك عن السماع، فإن سمعت لا بأس لكن لا تستمع.

فالاستماع إنك تسمع وسعيد بما يقال، إنما السماع مثل عندما تكون تسير في الشارع وتسمع موسيقى مثلًا أو شخص سب آخر، فأنت تسير وغير منشغل بأحد.

●كيفية السلامة من الغيبة

أولًا:- أن تلجأ إلى الله تعالى وأن تطلب ذلك من الله تعالى، فكثرة الدعاء وأن تطلب من الله أن يتولى أمرك كما في الحديث:- فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، فممكن الله عز وجل أن يحميك من الغيبة ويحميك أن تتعرض لهذه المجالس.

فأنت محتاج الله عز وجل يحبك وهذا بكثرة النوافل كما في الحديث، فتكثر من الطاعات بنية أن الله عز وجل يحمي سمعك.

ففي الحديث:-[إنَّ اللهَ قال: مَن عادى لي وليًّا فقد آذَنتُه بالحَربِ، وما تَقَرَّبَ إليَّ عَبدي بشَيءٍ أحَبَّ إليَّ ممَّا افتَرَضتُ عليه، وما يَزالُ عَبدي يَتَقَرَّبُ إليَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّه، فإذا أحبَبتُه كُنتُ سَمعَه الذي يَسمَعُ به، وبَصَرَه الذي يُبصِرُ به، ويَدَه التي يَبطِشُ بها، ورِجلَه التي يَمشي بها، وإن سَألَني لَأُعطيَنَّه، ولَئِنِ استَعاذَني لَأُعيذَنَّه، وما تَرَدَّدتُ عن شَيءٍ أنا فاعِلُه تَرَدُّدي عن نَفسِ المُؤمِنِ؛ يَكرَهُ المَوتَ، وأنا أكرَهُ مَساءَتَه.]

النبيﷺ كان يقول في خطبته من كل جمعة:- [ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا].

وكان من دعاء النبيﷺ:- [اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر لساني وشر سمعي وشر بصري وشر منيّ].

ثانيًا:- معرفة أن الجزاء من جنس العمل، فإذا وقع الإنسان في غيبة فإنه يخشى أن يعامله الله بالمثل.

وهذا ذكر في الحديث:-[يا مَعْشَرَ مَن آمن بلسانِه ولم يَدْخُلِ الإيمانُ قلبَه ، لا تغتابوا المسلمينَ ، ولا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِم ، فإنه مَن تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيه المسلمِ ، تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَه ، ومَن تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَه ، يَفْضَحْهُ ولو في جوفِ بيتِه].

يقول ابن سيرين:- عَيرتُ شخصًا وقلت له يا مفلس، فأفلست بعد أربعين سنة.

قد تقول هو فعل هذا الأمر مرة واحدة فنقول هناك قاعدة تقول عندما تكون شخص عالي، الله عز وجل يعاملك بطريقة عالية.

فكون أنك لا ترى عقوبة، فهذا يدل على ضعف الإيمان ومكانتك عند الله عز وجل.

أحد السلف يعبر عن حال السلف ولماذا مكانتهم عالية هكذا، فيقول:- (علموا من أين أُتوا).

ابن مسعود رضي الله عنه يقول:- (إني لأخشى أن قولت لإنسان يا كلب أن يمسخني الله كلبًا).

وَرَدَ عن زبان أنه قال:- (سمعت أقوامًا من الناس كانت لهم عيوب ولكنهم سكتوا عن عيوب الناس، فستر الله عيوبهم ولم يتكلم فيهم أحد، وسمعت عن أقوامًا لم تكن لهم عيوب ولكنهم تكلموا في عيوب الناس، فأحدث الله لهم عيوبًا وتكلم فيهم الناس).

فينبغي للإنسان أن يخاف على نفسه ويخشى أن يتكلم أو يعلق على عيب أحد، فقد يجعلك الله في يومًا ما مكانه، فقد رأينا أُناس سلموا وفجأة أتت لهم فضائح لا تنتهي لأن في يوم من الأيام الله عز وجل رفع ستره عنهم وفضحهم في جوف بيوتهم.

ثالثًا:- أن تنشغل بعيوب نفسك، فقبل أن تتكلم على أحد تقول لنفسك سأبحث عن عيوبي، فتظل مستغرق في عيوب نفسك لا تخرج منها، فهذا يمنعك تمامًا أن تتكلم في عيب أحد.

قال النبيﷺ:- [يُبْصِرُ أحدُكم القذَى في عينِ أخيهِ ويَنْسَى الْجِذْعَ في عينِهِ].

أي أخوك مثلًا لديه ترابة في عينه، وأنت لديك جزع في عينك لا تراه، فلا ترى إلا عيوب الآخرين ولا ترى عيوب نفسك، فهذا كبر رهيب.

يقول الشاعر:- عجبت لمن يبكي على موت غيره دموعًا ولا يبكي على موته دمًا وأعجب من ذاك أن يرى عيب غيره عظيمًا وفي عينيه عن عيبه عمًا.

قال عون بن عبد الله:- لا أحسب الرجل ينظر في عيوب الناس إلا من غفلة غفلها عن نفسها.

قال محمد بن سيرين:- كنا نُحدث أن أكثر الناس خطايا هم أنفسهم أفرغهم لذكر خطايا الناس.

فهذه حيلة نفسية للشخص بأن يتكلم عن عيوب الناس ليشعر نفسه أنه بخير، فأسوء شيء أن يجعلك الشيطان تنشغل بعيوب الناس عن عيوب نفسك فتضيف لنفسك عيبًا جديدًا وهو الانشغال بعيوب الناس.

فلا يغتاب إلا ناقص.

لذلك أحد العُبَّاد لقى أحد الزُهَّاد فقال له:- يا أخي إني أحبك في الله، فقال له الآخر:- لو علمت مني ما أعلم من نفسي لأبغضني في الله، فقال له:- لو علمت منك ما تعلم من نفسك لكان فيما أعلم من نفسي شغلٌ عن بُغضك.

يقول الأول لو تعلم عيوبي ما أحببتني في الله، وقال الثاني لو أعلم عيوبك كانت عيوبي جعلتني لا أستطيع أن أرى عيوبك.

قال بكر بن عبد الله:- إذا رأيتم الرجل موكلًا بعيوب الناس ناسيًا لعيبه فاعلموا أن الله قد مكر به.

أي يستدرجه.

يقول إبراهيم بن أدهم:- إني لأرى الشيء مما يُعاب وما يمنعني من غيبته إلا مخافة أن أُبتلي به.

قال الحسن البصري:- كانوا يقولون من رمى أخاه بذنبٍ قد تاب منه لم يمت حتى يبتليه الله به.

قال الشافعي:- قِيل لعمر بن عبد العزيز ما تقول في أهل صفين الذي حدث بن معاوية وعليّ، قال:- تلك دماء طهر الله يدي منها فلا أحب أن أخضب لساني بها.

وهذه هي طريقة السلف يستغفرون لما بدر من الصحابة ويعتذرون لهم لأنهم كانوا كلهم مجتهدين.

قال الله عز وجل:- ﴿وَالَّذينَ جاءوا مِن بَعدِهِم يَقولونَ رَبَّنَا اغفِر لَنا وَلِإِخوانِنَا الَّذينَ سَبَقونا بِالإيمانِ وَلا تَجعَل في قُلوبِنا غِلًّا لِلَّذينَ آمَنوا رَبَّنا إِنَّكَ رَءوفٌ رَحيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

رابعًا:- ذكر العقوبة، وهي أكل الحسنات، لأنه يوجد قنطرة يوم القيامة هيلتقي عليها الناس.

في الحديث:- [أتَدرونَ ما المُفلِسُ ؟ إنَّ المُفلسَ من أُمَّتي مَن يأتي يومَ القيامةِ بصلاةٍ وصيامٍ ، وزكاةٍ ، ويأتي وقد شتَم هذا ، وقذَفَ هذا ، وأكلَ مالَ هذا ، وسفكَ دمَ هذا ، وضربَ هذا ، فيُعْطَى هذا من حَسناتِه ، وهذا من حسناتِه ، فإن فَنِيَتْ حَسناتُه قبلَ أن يُقضَى ما عليهِ ، أُخِذَ من خطاياهم ، فطُرِحَتْ عليهِ ، ثمَّ طُرِحَ في النَّارِ].

فهذه مصيبة كبيرة جدًا أن تأخذ الناس حسناتك، فأنت تغتاب الشخص لأنك لا تحبه وأنت بالذي فعلته أعطته أثمن ما تملك وهي حسناتك.

قال رجل للحسن:- بلغني أنك تغتابني(يفتري عليه)، فقال له:- لم يبلغ قدرك عندي أن أعطيك حسناتي.

قال عبد الرحمن بن مهديّ:- لو لا أني أكره أن يُعصى الله لتمنيت ألا يبقى أحدٌ في المصر إلا اغتابني، أي شيء أهنأ من حسنة يجدها الرجل في صحيفته لم يعمل بها.

قال الإمام عبد الله بن المبارك:- لو كنت مغتابًا أحدًا لاغتبت والديَّ لأنهما أولى الناس بحسناتي.

قال عبد الله بن المبارك لسفيان الثوري:- ما أبعد أبا حنيفة من الغيبة، ما سمعته يغتاب عدوًا له، فقال سفيان:- والله هو أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهب بها.

خامسًا:- أن تدرك فضيلة الصمت وأن تجاهد نفسك عليها، وقليل من تجده يفعل هذه الفضيلة، فلا تتكلم إلا كانت في ضرورة.

في الحديث:- ["إنَّكَ لَن تزالَ سالِمًا ما سكَتَّ، فإذا تكلَّمتَ كُتِبَ لكَ أو عليكَ].

قال عمر رضي الله عنه وأرضاه:- من كثُر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به.

وقيل ما ندم حليم ولا ساكت.

وقال أبو بكر الصديق:- لساني هذا أوردني الموارد.

يقول ابن مسعود:- ما من شيء أحوج إلى طول حبس من لساني.

سادسًا:- أن تعرف خطورة اللسان، فأفضل شيء في الإنسان القلب واللسان إن صلحا ويكونا أسوء شيء في الإنسان إن فسدا.

النبيﷺ قال لمعاذ:- [كُفَّ عليكَ هذا، فقُلتُ: يا نبيَّ اللهِ، إنَّا لمؤاخَذونَ بما نتَكلَّمُ بِه؟ قال: ثَكلتكَ أمُّكَ يا معاذُ، وَهل يَكبُّ النَّاسَ في النَّارِ علَى وجوهِهِم، أوعلَى مناخِرِهم، إلَّا حصائدُ ألسنتِهم.]

قال النبيﷺ:- [إنَّ الرجلَ لَيتكلَّمُ بالكلمةِ لا يرى بها بأسًا يهوي بها سبعين خريفًا].

في الحديث:- [إذا أصبح ابنُ آدمَ ؛ فإنَّ الأعضاءَ كلَّها تكفِّر اللسانَ، فتقول : اتقِ اللهَ فينا ؛ فإنما نحن بك ؛ فإن – استقمت استقمْنا وإنِ – اعوججتَ اعوججنا].

النظر في القدوات، بإن يكون لك في السلف أسوة وقدوة، فقد رأينا ماذا فعل معاذ عندما أُغتيب كعب بن مالك.

ومن هذا موقف زينب بنت جحش رضي الله عنها وأرضاها وهذا يعد من مناقبها، عندما جاءت لها الفرصة على طبق من ذهب لكي تطيح بعائشة من قلب رسول الله ﷺ، لأن معلوم أن زينب كانت من أحب زوجات النبيﷺ إليه بعد عائشة، فعندما حدثت حادثة الإفك وتكلم من تكلم في عرض عائشة رضي الله عنها وأرضاها، ومن ضمن من تكلم أخت زينب، وجاء النبيﷺ إلى زينب وقال لها:- ما تقولين في عائشة، قالت:- يا رسول الله احمي سمعي وبصري، والله يا رسول الله ما علمت عن عائشة إلا خيرًا، وقالت عائشة بعد ذلك:- والله لقد عصمها الله بالورع، وكنت لا أنساها لزينب.

فترى الآن النساء كيف يتكلمن عن بعضهن، وكيف المرأة الآن تتكلم عن سلفتها وعن ضرتها وعن جارتها...وما إلى ذلك، فلا عجب أن تكون النساء من أكثر أهل النار.

قال خارجة بن مصعب:- صحبت بن عون اثنتي عشرة سنة، فما رأيته تكلم بكلمة كتبها عليه الكرام الكاتبون.

عن الفضيل بن عياض قال:- كان بعض أصحابنا يحفظ كلامه من الجمعة إلى الجمعة.

كان الحسن بن حي يقول:- إني لأعرف رجلًا يَعُد كلامه.

قال وما تكلم الربيع بن خثيم بكلام أهل الدنيا عشرين سنة وكان إذا أصبح وضع قرطاس وقلم وكتب كل كلمة قالها ثم يحاسب نفسه في المساء.

ترك المخالطة قدر المستطاع، لأن مخالطة الناس دائمًا مجلبة للغيبة إلا نادرًا.

قال سفيان الثوري:- أقل من معرفة الناس تقل غيبتك.

فتقل من مكالمات الهاتف ورسائل الواتس والتصفح على السوشيال ميديا ومتابعة أخبار الناس.

والإمام الشافعي له تعليق على هذا الكلام فيقول:- الانقباض عن الناس تمامًا يكسبك العداوة، قال والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء، وكن بين المنقبض والمنبسط.

قال شقيق البلقي:- أصحب الناس كما تصحب النار، خذ منفعتها واحذر أن تحرقك.

وفوق كل ذلك قول النبيﷺ:- [إِنَّما مثَلُ الجلِيس الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ: كَحَامِلِ المِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحامِلُ المِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ ريحًا طيِّبةً، ونَافِخُ الكِيرِ إِمَّا أَن يَحْرِقَ ثِيابَكَ، وإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا مُنْتِنَةً.]

قال سفيان:- إني لألقى الأخ من أخواني في لقاء فأكون بعده غافلًا شهرًا

●ماذا يجب على من حضر مجلس غيبة؟

يجب عليه أن يرُد عرض أخيه.

وفي الحديث:- قال النبيﷺ:-[من حمى مؤمنًا من منافقٍ يعيبُه بعثَ اللَّهُ ملَكا يحمي لحمَه يومَ القيامةِ من نارِ جَهنَّمَ ومن قفَّا مسلمًا بشيءٍ يريدُ شينَه بِه حبسَه اللَّهُ على جسرِ جَهنَّمَ حتَّى يخرجَ ممَّا قال].

وفي حديث أسماء بنت يزيد:-قال النبيﷺ[من ذب عن عرض أخيه للغيبة كان حقًا على الله أن يعتقه من النار].

عن أنس رضي الله عنه، قال النبيﷺ:- [من نصر أخاه بالغيب نصره الله في الدنيا والآخرة].

وفي الحديث:- [مَن ردَّ عن عِرضِ أخيه ردَّ اللهُ عن وجهِه النَّارَ يومَ القيامةِ].

حضر عمار بن ياسر مجلسًا فجلس فيه رجل وتكلم في عائشة، فغضب عمار غضب شديد وقال له:- اسكت مقبوحًا، أشهد أنها زوجة رسول اللهﷺ في الجنة، أتؤذي محبوبة رسول اللهﷺ؟

عندما يكون شرف المغتاب أعلى لا بد أن غضبك يزداد.*

●متى تجوز الغيبة؟

تجوز الغيبة في بعض الحالات منها:-

التظلم

بأن يكون الإنسان يحتاج أن يتظلم، فإذا ظُلم الإنسان يحق له أن يتكلم في هذا المسألة فقط ولا يأتي بكلام آخر عنه.

قال الله عز وجل:- ﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الجَهرَ بِالسّوءِ مِنَ القَولِ إِلّا مَن ظُلِمَ وَكانَ اللَّهُ سَميعًا عَليمًا﴾ [النساء: ١٤٨].

كأن يقول فلان ظلمني، فلان أخذ مالي، هذا الحديث في الطبيعي يكون غيبة ولكن يحق لك أن تقوله إذا تم ظلمك وتقوله لشخص يستطيع أن يساعدك بالفعل وليس لجميع الناس.

فيكون الحديث بقدر المظلمة فقط ولمن يرفع عنك الظلم.

في حالة الفُتية، بإن يقول مثلًا الشخص أن أباه أكل ميراثه أو كما قالت هند:- إن أبا سفيان رجلًا شحيح، والعلماء يقولوا عندما لا تحتاج أن تقول اسم الشخص لا تقوله، كأن تقول فلان فعل كذا أو زوجي كذا بدون ذكر اسم الشخص، وأيضًا يكون في حدود الفُتية.

طلب النصيحة.

عندما جاءت المرأة للنبيﷺ وقالت له خطبني معاوية وأبو جهل وأسامة:- قال لها النبيﷺ:- فأما معاوية فصعلوك لا مال له، وأما أبو جهل فضرابٌ للنساء، وإني أنصحك بأسامة.

فهذه نصيحة وأيضًا بقدر المسألة.

التحذير.

كأني أحذر الناس من شخص ينصب عليهم وأيضًا في حدود هذه المساحة ولا أقول شيء آخر كعيب خلقي فيه مثلًا، فلا أقول مثل ذلك.

ويدخل أيضًا في هذا التحذير من أهل الفسق والفجور والبدع المعلنين بذلك وضررهم عام.

●كيفية التوبة من الغيبة

هناك توبتين، هما:-

أولًا:- توبة بينه وبين الله وفعل شروط التوبة وهي الندم والإقلاع عن الغيبة والعزم على عدم العودة وفعل الكثير من الطاعات.

ثانيًا:- بالنسبة للشخص الذي اغتبته، العلماء على قولين:-

القول الأول:- أن يلزم أن يذهب لمن اغتباه وأن يخبره بذلك ويطلب منه العفو والمسامحة وأنه لا يبرأ من الذنب إلا بذلك.

لقول النبيﷺ:- [من كان عند أخيه مظلمة فليتحلله منها قبل ألا يكون درهم ولا دينار].

وهذا القول مرعب ومعتبر جدًا.

القول الثاني:-أنه لا يلزمه أن يخبره وإنما يكفي بالاستغفار له وممكن أن يتصدق عنه وأن يذكره في المجالس الذي ذكره فيها بالسوء وأن يُكذب نفسه في تلك المجالس وأن يذكره بخير.

أصحاب هذا القول الثاني يفعلوا استثناء فقط وهو إذا علم الشخص أنه قد أُغتيب، فيجب عليك في هذه الحالة أن تذهب له وتطلب منه مسامحتك.

وهذا القول الثاني انتصر له الإمام ابن مفلح الحنبلي في كتاب الآداب الشرعية وانتصر له شيخ الإسلام ابن تيمية.

فاجعل لك ورد دعاء عن كل شخص اغتبته وادعي بالعموم لأن وارد جدًا يكون في أشخاص لا تذكرهم وافعل لهم صدقة جارية كل فترة وضع نية عن كل شخص اغتبته وادعو الله عز وجل أن يغفر لك.

فإن كنت تستطيع أن تخبر الشخص بإنك اغتبته ولكن تأمن ردة فعله فقل له، ولكن إذا كان يوجد مفسدة على إخباره فلا تقل له وتحلل من ذلك بالدعاء والصدقة له.

● **آثار من السلف**

قالوا أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن أعراض الناس.

قال الإمام ابن الجوزي واصفًا شيخه عبد الوهاب الأنماطي:- كان على قانون السلف، لم يُسمع في مجلسه غيبة.

قال الأوزعي عن يحيي رحمه الله:- قال أثنى رجل على رجل، فقال له بعض السلف:- وما علمك به، قال:- رأيته يتحفظ في منطقه.

قال الصفدي في يحيي بن إسماعيل:- صحبته أكثر من عشرين سنة وما رأيت منه سوءًا قط وكان قوي النفس يتقي لسانه.

قال الأحنف بن قيس:- ما ذكرت أحدًا بسوء بعد أن يقوم من عندي.

قال أحدهم:- ما سمعت وكيعًا ذكر أحد بسوء قط.

قال إبراهيم التيمي:- أخبرني من صحب الربيع بن خثيم أنه ظل عشرين سنة لم يسمع منه كلامًا لا يصعد إلى الله تعالى.

قال أحدهم:- صحبت الربيع بن خثيم عشرين سنة ما سمعت منه كلمة تعاب.

قال خارجة بن مصعب:- صحبت عبد الله بن عون أربعة وعشرين سنة فما أعلم أن الملائكة كتبت عليه خطيئة.

قال يحيي بن قطان:- ما ساد ابن عون الناس لأنه أتركهم للدنيا ولكنه سادهم لأنه كان أحفظ الناس للسانه.

قال البخاري:- سمعت أبا عاصم يقول:- منذ عقلت أن الغيبة حرام ما اغتبت أحدًا قط.

قال مخلد بن حسين:- ما تكلمت بكلمة أريد أن اعتذر منها منذ خمسين سنة.

فأنت الآن عرفت أن الغيبة حرام فافعل كما فعل أبو عاصم.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلَّا أنت، نستغفرك ونتوب إليك